

المجتمع والبيئة في الفكر الإسلامي: دراسة نقدية في فكر إخوان الصفاء وخلان الوفاء

Society and Environment in Islamic Thought: A critical study of the thought of the Brotherhood of Safa and Khallan Al-Wafa

سليم جدائي¹، محمد الطاهر عديلة^{2,*}

¹ جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)، salim.djeddai@univ-msila.dz

² جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)، mohamedtahir.adila@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2020 / 12 / 31

تاريخ القبول: 2020 / 12 / 27

تاريخ الاستلام: 2020 / 11 / 21

ملخص:

عرفت المجتمعات منذ القدم تداخلات سيكولوجية بينها وبين الحيز الذي تعيش فيه، شمل هذا الحيز البيئة "الزمكانية"، فالعلاقة بين المجتمع والبيئة في الفكر الإسلامي هي علاقة متداخلة وتخضع لمتطلبات المجتمع داخل هذا الحيز البيئي، فمنذ ظهور الإنسان على كوكب الأرض وهو يحاول محاكاة بيئته والتمازج بما يناسبه ويتناسب معها للبقاء متأقلماً مع متغيراتها في شتى الميادين. وقد عرف الفكر الإسلامي ظهور مجموعة من الحركات الفكرية التي نادى بضرورة التغيير الفكري والثقافي والمجتمعي وحتى الديني من حيث المعتقدات، منها "جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء" الذين كان لهم دور فعال في تقديم مشاريع فكرية - فلسفية تحاكي الحياة المجتمعية بين الإنسان والثقافة وبيئته التي يعيش فيها.

الكلمات المفتاحية: إخوان الصفاء وخلان الوفاء؛ البيئة؛ الفكر الإسلامي؛ المجتمع

Abstract:

Societies have known since ancient times psychological interactions between them and the space in which they live. This space included the "spacetime" environment. The relationship between society and the environment in Islamic thought is intertwined and is subject to the requirements of society within this environmental space, since man's appearance on earth has been trying to simulate his environment and mix with what suits him And commensurate with it to stay adapted to its variables in various fields. Islamic thought has known the emergence of a group of intellectual movements that called for the necessity of intellectual, cultural, societal and even religious change in terms of beliefs, including the "Brotherhood of Al-Safa and Khallan Al-Wafa" who had an active role in presenting intellectual-philosophical projects that simulate societal life between a person, culture and his environment in which he lives.

Keywords: Islamic thought; Brotherhood of Safa and Khallan Al-Wafa; Society; The environment.

مقدمة

تعد التجمعات الإنسانية منذ نشأة الإنسان إلى يومنا هذا مركزاً لهووس الأمم أو فشلها، فهذه التجمعات تركز في الكيفية التي ستقوم عليها حياتها في شتي الميادين المادية والمعنوية وعلى كافة الأطر المكانية والزمانية، من أجل تطور سليم وحياة كريمة. والفكر الإسلامي حاول أن يحاكي وينسق بين المجتمع والبيئة من خلال مجموعة من الأسس والمنطلقات، وقد كان رواده من الأنبياء والحكماء والفقهاء والفلاسفة الذين كانت لهم رؤية مختلفة حول المجتمع والبيئة التي يعيشون فيها، لكل له توجهه من حيث العرف والمبدأ والرقعة الجغرافية وما إلى ذلك من توجهات. والذي سننتظر إليه بالتفصيل في هذه الدراسة، ومن فحوى هذا الفكر ظهرت طائفة تسمى المعتزلة، والتي بدورها أبرزت لنا فرقة من باطنها تسمى إخوان الصفاء وخلان الوفاء والتي تُقَدِّم العقل على ما سواه من الحواس في محاكاة المحيط الخارجي لبني الإنسان، والتي تعد من أبرز الفرق التي استطاعت أن تستنسخ من الطبيعة الخارجية نظريات شبه علمية في وقتها، ورغم ما تعرضت له هذه الفرقة من تهيش إلا أنها استطاعت بناء نسق وتجانس فكري وعقلي وأيديولوجي مازال محل جدل إلى يومنا هذا.

من خلال ما تقدم يمكن طرح الأسئلة التالية: من هم إخوان الصفاء وخلان الوفاء؟ ما أهم أفكارهم المتعلقة بالبيئة والمجتمع؟ كيف ساهم فكرهم في تثقيف وتربية المجتمع؟ وكيف نسقوا بين ثلاثية المجتمع والبيئة والدولة؟

للدراصة هدفان أساسيان: الأول استكشافي، يتمثل في تمكين القارئ من الإطلاع على فكر إخوان الصفاء وخلان الوفاء وأهم إسهاماتهم العلمية في مجالي البيئة والمجتمع. والثاني نقدي، يتمثل في إخضاع ما قدموه من رؤى ومفاهيم ومشاريع فكرية لميزان النقد والتقييم، بغية معرفة ما يزال صالحاً ومتلائماً مع ظروف المجتمعات الإسلامية اليوم.

وفيما يخص منهج الدراسة، فقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي من أجل معرفة الماضي لبناء الحاضر والتنبؤ بالمستقبل. كما اعتمدنا على المنهج التحليلي في تفكيك معطيات الدراسة بصفة حيادية وموضوعية. واعتمدنا كذلك على المنهج الوصفي في تشرح وتحديد معالم الظاهرة محل الدراسة.

أولاً: إخوان الصفاء وخلان الوفاء وجدلية النشأة وبوادر الثقافة.

عرف العالم الإسلامي تطورات كثيرة خلال مراحلها المتعددة والمتنوعة على الصعيد الثقافي والعسكري والإقتصادي والإجتماعي مما أدى إلى تغيرات في مجملها تخضع لعوامل داخلية وخارجية تنبع عن معيار الاختلاف والتنوع العلمي والفلسفي مما أدى بذلك إلى ظهور مجموعة من الحركات الدينية والفكرية داخل الحيز الإسلامي تنادي إلى التغيير إما في المنهج أو الفهم أو حتى الإدراك؛ أي ما يعرف في وقتنا هذا بعمليات التحديث، ومن بين هذه الحركات والجماعات سننتظر إلى جماعة يكتنفها الغموض من حيث الفكر وطبيعة تحركها داخل المجتمع الإسلامي وهي جماعة "إخوان الصفاء وخلان الوفاء".

1. التعريف بإخوان الصفاء وخلان الوفاء

عُرف إخوان الصفاء وخلان الوفاء من خلال رسائلهم التي ظهرت في البصرة فقد منوها آرائهم وأفكارهم التي كتبوها في اثنين وخمسين رسالة وهم جماعة يكتنفها الغموض من كل الجوانب (دباب، 2019، صفحة 02)، وحسب جبور عبد النور ظهرت جماعة إخوان الصفاء حوالي منتصف القرن الرابع هجري، بعد أن عصفت بالخلافة الإسلامية أيدي الحدثان وتقاسمها أمراء وملوك ولم يبق للعباسيين إلا بعض النفوذ، لما تمركز الفاطميون في المغرب وشمال إفريقيا، وسيطر الحمدانيون على الموصل، ودخل الأمويون الأندلس وسيطروا عليها والقرامطة على اليمامة والبحرين، فقد أصبح للمسلمين ثلاثة خلفاء في وقت واحد، أحدهم في العراق والثاني في شمال إفريقيا والآخر في إسبانيا، ومن هنا ظهرت جماعة إخوان الصفاء كجماعة من أشهر الجماعات السرية

التي نشئت آنذاك، وسعت في كسب الأنصار وتأييدهم حولها، ووضعت المؤلفات الدينية الفلسفية، وبثتها في طلاب الحكمة (معتوق، صفحة 05).

2. جدليات النشأة لإخوان الصفاء وخلان الوفاء عند الباحثين والمفكرين

في النصف الثاني من القرن الأول بعدما أحرز الإسلام نصرا كبيرا وبعدهما اصطدم بشعوب مختلفة وبثقافات متنوعة واجه ثلاث مشكلات جوهرية وهي مشكلة الخلافة، ثم مسألة قدرة الإنسان على أعماله، ومسألة نفي صفات الله، بينما كانت مختلف الفرق الإسلامية يكفر بعضها البعض نجد "واصل بن عطاء" و"عمر بن عبيد" رأسي المعتزلة يأتیان بحل جديد فيه الكثير من التسامح حسب زعمهما، وهو منزلة الكبيرة بين الكفر والإيمان، ولما كان هذا الحل جديدا حينئذ لم يقبله الحسن البصري وهذا ما سوف نتطرق له في الجدلية الرابعة لظهور إخوان الصفاء وخلان الوفاء الذي أطلق عليهم اسم المعتزلة، وبجانب مسألة الخلافة وهي كذلك مسألة سياسية أراد المسلمون أن يصبغوها بطابع ديني، ومن ثمة ظهور مسألتان جوهريتان كدتا أن تزعزعا الدين من أساسه الأولي الخاصة بقدرة الإنسان على عمله يعني هل هو مختار لها أم مجبور، فإذا كان مختارا فهو محاسب عليها وإذا كان مجبورا فأى مسؤولية تقع عليه، أما الثانية فخاصة بصفات الله فقد نفت المعتزلة كل صفة عن الله وردت جميع الصفات إلى الذات خوفا من أن يؤدي الكلام في الصفات إلى الشرك حسب زعمهم وكل هذه الأفكار ذات الطابع الديني قد ساسها البعض من أجل المصالح وسد الفجوات السياسية في الدولة كما سنعرض ذلك في متن البحث (نادر، صفحة 4_5).

1.2 الجدلية الأولى: ينسب فكر 'داريوش شايغان' على فكرة وجود بون شاسع، يبلغ أحيانا حد القطيعة الإبيستمولوجية "Clivage épistémologique" و"الثغرة العميقة" "Brèche profonde" بين الثقافات التقليدية والثقافات الحديثة وهو ما يرجعه الفيلسوف هيغل إلى ما يسميه استبدادا وربما مكر التاريخ، فالحضارات أو الثقافات التقليدية تعيش حالة انتقال طويلة "Transition"، بين حدث يعتمل وتهيأ، لكنه لم يفصح عن نفسه بشكل كامل وبين نظام روحي يتذبذب أو يترنح لكنه لم يسقط كلية، ولن يعيد نفسه بشكله الأصلي وعبارة أخرى فإن الثقافات التقليدية تعيش توترا بين "لما لم يكن بعد" "Le pas encore" و"لما لم يعد قائما"، "Le Pius jamais"، وكما عبر عنها محمود درويش 'فلا الأمل يمضي ولا الغد يأتي' (سبيلا، 2014، صفحة 15). وهذا ما كان من أمر إخوان الصفاء وخلان الوفاء في الحضارة الإسلامية فليس من الضرورة أن تكون الأصنام مصنوعة من الخشب أو الذهب أو الفضة على صورة إنسان فالأمر المهم، أنها ترمز إلى بعض من القيم الاجتماعية والقوي الروحية التي تتصف بالقدسية وتمتاز بالسلطة بهاها الناس ويخشونها تحاول أن تربط سير المجتمع وتكوينه الثقافي بإطار من الأوهام والأباطيل وتعمل على طمس شخصية الفرد وتمنع نموها وازدهارها ولا تسمح لها بأن تشغل المكانة الاجتماعية اللائقة بها فنقصد بالأصنام هنا شيوع بعض الأوهام والأساطير والفكر المغلوط الذي لا يخضع للبحث العلمي والمنطق ومع ذلك يتعصب لها الإنسان ويتحيز دون أدنى بحث أو علم (الطاهر، 2016، صفحة 11) وهو كذلك حكم مسبق حول إخوان الصفا الذين همشوا على أساس التعصب والنفاق المجتمعي والسياسي ولا دخل للدين في ذلك، فإخوان الصفا وخلان الوفا ثلة من الفلاسفة ظهرت في البصرة خلال القرن الرابع هجري ولها فرع في بغداد كانت هذه المجموعة قد تلاقت وتصادفت بالصدافة واجتمعت على القدس والطهارة وبيدوا ذلك جليا في الاسم الذي أطلقوه على أنفسهم، "أهل العدل وأبناء الحمد"، وبالرغم من أنهم غير معروفين بشخصيتهم وذلك كما كانوا عليه من تستر، كما أنهم كتموا أسمائهم عندما صنفوا رسائلهم وبثوها في الأوراق فإن أبو حيان التوحيدي يذكر مجموعة أهل الصفا البصريين وهو يجيب على سؤال الوزير "إبنسعدان"، حول أحد عناصر إخوان الصفا وهو زيد بن رفاعة وشهرته في فنون النظم والنثر مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة والأرقام زمنا طويلا في البصرة حتي صادف بها جماعة وصفهم أبوا حيان بأنهم جماعة

لأصناف العلم والصناعة وهم أبو سليمان محمد بن معشر البستي المقدسي، وأبو الحسن علي هارون الزنجاني، أبو أحمد المهرجاني وبشير أبو حيان. (جاسم، 2013، الصفحات 2-3)

2.2 الجدلية الثانية: وكما يراهم طه حسين في مقدمته أنهم جماعة يعملون من وراء ستار ويؤلفون جماعة سرية وكان قوام جماعتهم هذه فيما يظهر سياسي، وعقلي فهم يريدون قلب النظام السياسي المسيطر علي العالم الإسلامي يومئذ وهم يتوسلون إلي ذلك بقلب النظام العقلي المسيطر علي حياة المسلمين أيضا وهم يسلكون في ذلك مسلك جماعات سبقتهم في العالم القديم أظهرها جماعة الفيثاغوريين في المستعمرات اليونانية الإيطالية فقد كانت هذه الجماعة مبغضة للنظام السياسي اليوناني المألوف وكانت تريد قلبه تغييره وكانت تعتمد علي وسائل أهمها تغيير النظام العقلي وإنشاء فلسفة جديدة تكون الحياة العقلية والعلمية للفرد والجماعة تكوينا جديدا يلائم بينها وبين السياسة الجديدة، ورسائل إخوان الصفاء هذه تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر كما تمثل الحياة السياسية فكري أن العقل الإسلامي في القرن الرابع كان قد وعي ما نقل إليه من فلسفة اليونان وحكمة الهند وآداب الفرس والآداب العربية والإسلام (الزركلي) صحيح أن الدين يلبي حاجيات معرفية وسلوكية عميقة، ويساهم في توطيد الإنسجام الإجتماعي وتحقيق الوحدة العضوية، وأنه كذلك يمدنا بالقيم والمعايير والقواعد المنظمة للإجتماع، فيساهم الدين في تنميط التمثلات والأفعال وتمكين الأفراد من المعاني التي يكتسبونها، وإذا كانت المعتقدات المشتركة والقيم والطقوس الجامعة تساهم في نحت التماثل المحقق للهوية الدينية، فإن الاختلاف المبني علي أساس السلطة و المعرفة هو الذي يؤدي إلي تعدد في مستوى تمثل الدين وتأويله والتعبير عنه وتطبيقه، هكذا يكون مثلا تمثل العالم المتصرف والمقدس وسلوكه مختلفين عن تمثل المتقبل للعلم أو الجاهل وسلوكهما، ويساهم كل من السن والنوع والمنزلة والدور والوظيفة في تحديد المعرفة والسلوك الدينيين، بل إذا ما تجاوزنا المجتمع الواحد إلي المجتمعات المختلفة التي تشترك في الإنتماء إلي نفس الديانة وجدناها رغم هذا الإشتراك، أنها تختلف في طرق ممارستها للدين والتعبير عنه وإذا كان من المفيد دراسة تجليات الدين في هذه المجتمعات فإنه من الناجع الإلتفات إلي ممارسة الأطفال والشباب والشيوخ والنساء والرجال والأسياد والعبيد والعامة والخاصة للدين فلئن اشتركت هذه الفئات في انتمائها إلي الإسلام والتعبير عن تدينها بهذا الدين فإن بعض الخصائص تميز كل فئة عن الأخرى في مستوى بعض التماثلات للدين، ومستوي بعض السلوكيات وهذا ماكان من فئة إخوان الصفاء وخلان الوفاء بتميزهم عن الفئات الأخرى مع انتمائهم للدين الإسلامي (الميساوي، صفحة 06_05).

3.2 الجدلية الثالثة: يرى الدكتور محمود إسماعيل في كتابه، نهاية أسطورة نظريات ابن خلدون أنه لا يزال تاريخهم يلفه الغموض والإبهام فلم يحفل المؤرخون بهم لكونهم جماعة فكرية لا سياسية، أما المشتغلون بالفكر فقد انصرفوا للبحث عن فلسفتهم ليس إلا هذا فضلا عن الطابع السري للحركة التي لم يعرف أحد عنها شيئا قبل أواخر القرن الرابع الهجري، وذلك من خلال إشارة عابرة لأبي حيان التوحيدي كما أن الوحيد المتداول عنهم هو الرسائل، فهذه الأخيرة حلحلة إشكالية النشأة نوعا ما التي اختلف الدارسون بصدددها، فمرحلة الإعداد لتأسيس الجماعة بدأت مع بداية العصر العباسي الثاني أي في عهد المتوكل علي وجه التحديد، أي عام 232 هو ليس كما ذكر البعض سالفا في القرن الرابع هجري، ثانيا فكرة التأسيس كانت كردة فعل علي تدهور أحوال الخلافة العباسية في ظل سيطرة العسكر التركي، ثالثا أن تردّي الأوضاع الإقتصادية وفقدان الخلافة هيبتها السياسية وتفاقم المشكلات الإجتماعية وغلبة الفكر النصي السني الأشعري، كل ذلك أدي الي التفكير في أسلوب جديد للمواجهة وهو أسلوب التثقيف والتنوير لإذكاء الوعي الإجتماعي والسياسي علي أيدي نخبة مفكرة وهي إخوان الصفاء وخلان الوفاء (إسماعيل، 2000، صفحة 21_22).

4.2 الجدلية الرابعة: يرى الجابري في كتابة' المثقفون في الحضارة العربية "محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد" انه حدث ذلك عندما عادت جماعة من المجاهدين من الغزو إلى المدينة بعد مقتل عثمان ووجدوا الخلاف قد استشرى والصراع قد احتدم فريق مع عثمان وقبيلته وفريق مع علي وأشياعه، وبما أنهم لم ينخرطوا في الصراع من أوله ولا كانت لهم مصلحة فيه فقد احتكموا إلى عقولهم فشكوا في الأمر إذ لم يتبين لهم المصيب من المخطئ وقرروا الإمتناع عن الإنخراط في النزاع وانصرفوا إلى ساحة الأمراء التي تمارس فيها السياسة بالقبيلة ومن خلالها ليدشنوا لأنفسهم مجالا جديدا تمارس فيه السياسة بالرأي والكلام ويقول ابن عساكر في ذلك "إنهم الشكاك الذين شكوا... لما عادوا من المغازي"، وهم الذين لم ينحازوا لا إلى علي ولا إلى معاوية ولم يتأثروا بالإنتماء القبلي ولا بالإنتفاع المغني، فقد وجدوا أنفسهم أمام صراع يتم باسم الدين وفي إطاره، فأصروا على الموقف السياسي ولكنه فكري كذلك بالدرجة الأولى حيث أن الإنضمام إلى أحد يعني مقاومة الآخر، وحدث ذلك مرة أخرى أو حادثة وتعتبر كما يراها الجابري شهادة ميلاد لهذه المدرسة أو ما يعرف عنده بمدرسة أرباب الكلام، وتعتبر مرحلة البلوغ والنضج، وهي ما حدث بين الحسن البصري وواصل ابن عطاء، وسموا آن ذاك بالمعتزلة وهذه هي المناسبة التي حفظها التاريخ لتكون شاهدة علي ميلاد هذا الجيل الأول من المثقفين وهم إخوان الصفا وخلان الوفاء(الجابري، 2000، صفحة 39_41).

من خلال ما تقدم به الباحثون من جدليات في نشأة المعتزلة نرى أنهم اختلفوا في ميلاد هذه الفرقة واختلفوا في جوانب عملها، ولكنهم أجمعوا أنها فرقة سرية، فترى أن إخوان الصفا وخلان الوفاء قد ربطوا بين الدين والفكر والفلسفة والسياسة فقدموا تجلياتهم وآراؤهم السياسية والدينية من خلال مواقفهم كما ذكرها الجابري، واعتمدوا على التستر والسرية كما وصفهم طه حسين وتعمقوا في الفلسفة والفكر كما ذكرهم الدكتور محمود إسماعيل. غير أن الباحثين اعتمدوا كل على زاويته فممنهم من ركز على الفلسفة وممنهم من ركز على الدين وممنهم من ركز على السرية وممنهم كذلك من ركز على الأسماء والرسائل في توصيف هذه الفرقة التي تمتاز بتقديم العقل والنظرة الفلسفية علي ما سواه من حواس.

3. بؤادر الثقافة عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء

كانت البصرة مركز الجدل والفتن تجمع الفكر الوثني والهندي والمنوي والزرادشي والبرهمي والصابئي، هذا الخليط العقائدي والأيدولوجي قد أعطي لإخوان الصفاء ثقافة غربية جامعة لأمشاج هذا المركز المتنوع الثقافة والذي كان مأوي لكل من يريد الكيد للإسلام والفكر الإسلامي (شريف، صفحة 5)، فالثقافة كلمة كانت معروفة عند العرب في عصر ما قبل الإسلام، وما بعد ظهوره، ومتداول في اللسان العربي الفصيح، ولسنا بحاجة لأن نبهرن علي ذلك، فقد وردت هذه الكلمة وتكررت في الشعر العربي القديم، وهو ديوان العرب وتطرق لها معظم معاجم اللغة العربية القديمة والحديثة وأشهرها "لسان العرب" لابن منظور "ومعجم مقاييس اللغة" لابن زكريا "وأساس البلاغة" للزمخشري وصولا إلى "المعجم الوسيط" الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة (الميلاد، 2010، صفحة 23) وتعلمون أنه في كل البلاد الإسلامية وخاصة في المجتمعات التقليدية يوجد إسلام العلماء وإسلام العامة، فلو أردنا البحث في الناحية الاجتماعية عبر وصف الثقافة التي كانت سائدة لنصف قرن، لوجدنا أن الثقافة الشعبية والتي تختزن عناصر من الثقافة العالمية تحتوي روايب كثيرة من الثقافات المحلية، وحتى من العقائد الوثنية وشبه الوثنية غير أن الأمور تطورت وتغيرت علي كل حال، وأما بالنسبة للثقافة العالمية فالملاحظ أنها ثقافة عجزت سابقا وفي أغلب الأحيان الآن عن مواكبة العصر سواء تعلق الأمر عند الشيوخ القرويين أو شيوخ الزيتونة أو شيوخ الأزهر رغم الدعوات العديدة التي صدرت عن طلبة هذه المعاهد في حد ذاتهم وهذا نفسه ما حدث مع ثقافة إخوان الصفاء وخلان الوفاء وبؤادر نشوؤها في وتحريرها في القرون الأولى للإسلام (فحص، 2014، صفحة 8_9)، ولو رجعنا إلى أي معجم من المعاجم العربية لنرى ما تعني كلمة تحرير "حرر"، لوجدنا أن من بين المعاني العديدة التي يشملها هذا اللفظ الواحد، العتق، التخصيص،

والإصلاح، والتحديد والضبط والتدقيق والتخليص من الشوائب(البزاز، 1964، صفحة 2) وهذا ما كان من ثقافة إخوان الصفاء وخلان الوفاء.

1.3 الجدل النظري والعلمي في ثقافة إخوان الصفاء وخلان الوفاء

إن الجدل النظري يرمي إلي تتبع الأسس الثقافية للأمم في فترات مختلفة من التاريخ عن طريق تحليل عملياتها الاجتماعية والرمزية ومصادرها وإلهاماتها الثقافية، بالإضافة إلي تسليط الضوء هنا علي بعض المسائل المعقدة المتمثلة في تعريف الأمة أو المجتمع وتحديد تاريخ ظهورها وتناسقها مع بيئتها، وهاتان المسألتان مرتبطتان ارتباطا وثيقا ببعضهما (سميث، 2012، صفحة 24). فإذا رجعنا للإسلام وبالضبط إلي العصر الأموي لم يكن المتكلمون يشكلون حزبا ولا كانوا فرقا بل كانوا مثقفين أي علماء متكلمين في القضايا الأساسية التي كانت تشغل الناس في عصرهم، وإذا كان المثقفون في أوروبا خلال العصر الوسيط قد اقترن ظهورهم بنشأة المدن وتأسيس الجامعات والإحتكاك بالثقافة العربية الإسلامية عبر الترجمة، فإن الجيل الأول من المثقفين في الحضارة العربية الإسلامية قد ارتبط ظهوره بظهور "الخلاف" وتحوله إلى "فتنة" عملية وفكرية وصحيح أنهم كانوا مرتبطين بالمدن، إذ ظهر أول الأمر في المدينة ونشطوا في البصرة وطالوا دمشق نفسها، وصحيح أيضا أنهم اتخذوا من المساجد ساحات لعرض آرائهم وتقرير مآلهم ونشرها بين الجمهور، ولكنهم في المقابل لم تكن للثقافات السابقة علي الإسلام أي اثر لا في ظهورهم ولا في اتجاه فكرهم، لقد كانت ظروف نشأتهم ظروفًا إسلامية محضة، وهو "الخلاف" وهذا ما جاء في خطاباتهم التي هي خطابات إسلامية تخاطب العقل مثل قضايا الجبر، والعلم الإلهي، وخلق القرآن، وقد كانت مرتبطة بالجانب السياسي للإمامة وهنا وفي هذه المرحلة ظهرت بوادر الثقافة عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء.(الجابري، 2000، صفحة 44)

2.3 الثقافة في السياسة والدين والحكم عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء

يدعو إخوان الصفاء إلي هذه الثقافة والتي يرونها فكرة تابعة ومتبوعة وكذلك من خضم العقل، أن الملك والدين لا ينفصلان بل يجب أن يتضامنا ويتماسكا كأخوين توأمين، تطرح هذه الفكرة بصيغة الحيوان وحتى الجن وذلك لترسيخ النظرة المثالية والعقلانية في آن واحد، فيجري حوار بين الممثل الفارسي وملك الجن حول سبب الإختلاف في الآراء والمذاهب والأديان بين الناس، فيؤكد الممثل الفارسي أن الديانات قصدها واحد وهو التوجه إلي الله ولكن هذه الخلافات ليس من جهة الدين بل من جهة الملك والحكم لأن الدين والملك أخوان توأمين لا يفترقان ولا قوام لأحدهما إلا بأخيه، "غير أن الدين هو الأخ المقدم والملك هو الأخ المؤخر... فلا بد للملك من دين يدين به الناس، ولا بد من ملك من ملك يأمر الناس بإقامة سنته طوعا أو كرها، فلهذه يقتل أهل الديانات بعضهم بعضا طلبا للملك والحكم والرياسة(ناظميان، 2012، صفحة 12_13)، كما أن جماعة إخوان الصفاء جماعة دينية، سياسية، سرية معارضة للحكم العباسي فلسفية، تعتقد بصحة كافة المذاهب سواء كانت مقبولة عقلا أو مرفوضة، وكذلك صحة كافة الأديان سواء المحرفة منها والغير محرفة، إعتقاد إخوان الصفاء ببشرية الكتب السماوية المنزل التي جاء بها الأنبياء اعتقادهم كذلك بالعقل الفعال والدور المهم للفلسفة اليونانية الحاوية للحكم الإعتقادي والمصالح الإجتهادية(القط، 1441، صفحة 40_41) وأما السياسة فنعيد القول كذلك أن إخوان يرون أن في كل نفس إنسان شهوة في أن يكون أميرا في بلده "سلطان مصر، ورئيس أهله" وهكذا يحب التفاضل وطلب العز، والسلطان والشرف بحسب قوته، وما في وسع طاقته حتى ربما طلب وزير الملك المملكة ودبر علي قتله، وكذلك أخو الملك وابن عمه "والذي وسع عليه من المال ما يعلمه أنه يقدره علي الملك. وذو الشجاعة والشطارة والأدام يحمل" وذلك لبلوغ المراتب العظام في السياسة والسلطة والحكم والملك(الجريطي، 1949، الصفحات 52-53)

3.3 الثقافة والخطاب الصوفي لإخوان الصفاء وخلان الوفاء

يتمثل في ذم الدنيا والتزهّد فيها والتنويه بأهمية الآخرة ومضار الغفلة عنها ومن مضامين القصة ومحاوّر خطابهم ينتمون الفرصة للتعبير عن آرائهم وثقافتهم وتوجيه النصّ نحو القارئ في بلاد ملك الطيور، كما ذكرنا سالفاً التكلّم عليّ لسان الحيوان، وذلك عندما يطلب الملك من وزيره طاووس أن يشرح له خصائص الطيور وأذكّارهم في نغماتهم، فيردّ الوزير مثلاً، "وأما الديك المؤذن... العارف بأوقات الصلاة، المذكر بالأسحار المنبه للجيران... وهو القائل في آذانه في وقت السحر: أذكروا الله ما أطول ما أنتم نائمون والموت والبليّة لا تذكرن ومن النار لا تخافون وإلى الجنة لا تشناقون... فيحاول إخوان الصفاء أن يذموا طموحات الإنسان المادية وغفلته عن زوال الدنيا وفنائها وأن يذكر عالم الموت وعالم الخلود والبقاء وتحريضه عليّ ترك أمانيه الطويلة التي تنسي الإنسان ذكر الخالق وطاعته. (ناظميان، 2012، الصفحات 13-14)

ومن خلال ما تقدّم نرى أن إخوان الصفاء قد كانت لهم رؤيتهم الثقافية المغايرة لجميع الفرق الإسلامية الأخرى حيث يقدمون منطلق العقل قبل أي شيء، فهم ينقدون الأشياء من خلال نظرتهم التي يغلب عليها الطابع الفلسفي ذو الأبعاد الميتافيزيقية الخالي من دعائم التبعية المطلقة، لقد كانت لهم رؤية ذات زوايا إبستمولوجية تخضع لمعايير العقل لا النقل والتتبع، مع أنهم لا يعيرون للعالم اهتماماً كبيراً، ففهمهم مشبع بالفلسفة اليونانية ومن تراث قائم عليّ أسس وأنساق علمية بحثية، يخضع لمعيار الحس والحواس والملاحظة العميقة والمعقدة ومقتننة بتجارب يونانية سابقة لمسيرتهم الفلسفية، فالثقافة عندهم تخضع لمعيار الدين القائم عليّ الزهد والإيثار ونكران الذات، والمجازاة بين الثلاثة مع الدين والعقل والفلسفة.

ثانياً: المجتمع والبيئة في فكر إخوان الصفاء وخلان الوفاء

عرفت الإنسانية جمعاء بالتكتلات والنمو والازدهار والتقارب من أجل إنشاء عشائر أو قبائل أو حتى أسر متفرقة وذلك من أجل بناء تركيبة اجتماعية تحظى بالنمو والإبقاء على النسل والثقافة والدين والعادات والتقاليد. فقد كان الإنسان يسارع في بناء هذه التجمعات لسببين أوله تطوير ذاته ونسله والثاني إيجاد حيز يأويه وينظمه وقت الحاجة سواء في الحرب أو السلم لذلك بدأت فكرة بناء المجتمعات بحيزها الضيق ونمت وازدهرت حتى أصبحت أمماً وإمبراطوريات وآلآن دول ومؤسسات.

1. الإنسان والمجتمع في فكر إخوان الصفاء وخلان الوفاء

يتميز إخوان الصفاء الإنسان في مختلف تعاريفهم إلى ثلاثة تعاريف رئيسية وهي أولاً تعريف أبي الهذيل القائل "أن الإنسان هو الشخص الظاهر المرئي الذي له يدان ورجلان، وكان لا يجعل شعر الإنسان وظفره من الجملة التي وقع عليها اسم الإنسان" ويقول ابن حزم "أن أبا الهذيل يعتبر النفس "عرضاً كباقي أعراض الحس" والتعريف الثاني هو تعريف النظام القائل "أن الإنسان هو الروح ولكنها متداخلة للبدن ومشاركة له وأن كل هذا في كل هذا" وأخيراً تعريف بشر بن المعتمر القائل "أن الإنسان جسد وروح وأنها جميعاً إنسان وأن الفعال هو الإنسان الذي هو جسد وروح (نادر، الصفحات 75-76)، كما يعتبر المجتمع عند إخوان الصفاء ظاهرة طبيعية لا تختلف عن أية ظاهرة أخرى تحدث في مسرح الطبيعة بعد أن تتهيأ لها الظروف الموضوعية فهم يرون أن جميع الكائنات بما فيها الإنسان حينما تظهر للوجود تكافح لأجل البقاء، محبة للحياة وكرهية للموت، باعتبار أن هذا أصل وناموس للناس جميعاً، ففي قولهم "فأعلم يا أخي أيديك الله بروح منه، بأنك إن أنعمت بالنظر وتأملت وجدت البحث عن مبادئ الكائنات وعلة الموجودات، علمت وتيقنت أن هاتين الحالتين، أعني شهوة البقاء وكرهية الفناء، أصل وقانون لجميع هوة النفوس المركزة في جبلتها وأن تلك الشهوات المركزة في جبلتها أصول وقوانين لجميع أخلاقها وسجاياها... وهم أي إخوان الصفاء يرون أن ما يدفع الناس للتقارب والاتصال لأجل تكوين المجتمعات هو الحاجات الإقتصادية والمحافظة عليّ الحياة بالابتعاد عن الأخطار ودفع الشر (جاسم، 2013،

الصفحات 5-6)، فالإنسان وحده هو الذي يتميز هكذا عن باقي الكائنات لأنه سبب وجوده يختلف عن سبب وجود الكائنات الأخرى التي هي خاضعة لقانون الحتمية، لكن خلق الأنفس البشرية المستمر الذي قال عنه إخوان الصفاء وخلان الوفاء يختلف عن خلق الوجود المستمر الذي قال به النظام والذي بمقتضاه يبقى الله العالم في الوجود، فكأن إخوان الصفاء نظروا إلى خلق الإنسان وتكوين المجتمعات متأثرين بذلك بالقيم الأخلاقية لأفعاله التي تتأثر وتؤثر في المجتمع ويثاب عليها أو يعاقب، ولما كان الإنسان هو الكائن الوحيد الذي له قيمة أخلاقية فيلزم أن تكون طبيعته مختلفة عن باقي الكائنات، ولذلك أشرك إخوان الصفاء الله في تكوين النفس البشرية التي هي ليست من عمل الأعضاء ولا الأجسام الطبيعية فقط (نادر، صفحة 102)، كما أن إخوان الصفاء يرون أن المجتمع بناء صنعته الطبيعة ويضم العديد من الطبقات الاجتماعية التي تتفاوت تفاوتاً طبيعياً موروثاً في معظم الأحوال، وأن ذلك التفاوت شيء ضروري إلى جانب أنه نواويس الحياة فبناء عليه يتم تقسيم العمل وتنوع الوظائف ويتم التعاون على أسس أخلاقية تؤدي بالضرورة إلى السعادة الكلية للمجتمع. (رحمون، 2016، صفحة 13)

1.1. فلسفة الأخلاق في بناء المجتمع عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء

وتتمثل الأخلاق عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء في أخلاق مركزة في الجبلية أي الطبيعة وأخلاق مكتسبة بالعادة الجارية، فالنوع الأول ينطبع من جبلية الجنين وهو لا يزال في الرحم وتصبح مركزة في طبيعته شهراً بعد شهر إلى أن يخرج للحياة وهي نتيجة أحكام النجوم في الدرجة الأولى (بوحنك، صفحة 03) بعض النظر على الظروف التي تحيط به وتؤثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، أما الأخلاق المكتسبة فبعد الولادة تضاف إلى الأخلاق المركزة في طبيعة الجنين قبل الولادة، أخلاقاً جديدة مكتسبة ثم يستمر اكتساب الأخلاق يوم بعد يوم، هذه الأخلاق إما تكتسب بموجب العقل والفكر والرؤية وإما إتباع أوامر الناموس ونواهيته لتصير عادة لأصحابها بطول المواظبة عليها وكثرة الإستعمال لها وهو ما يرسخها في بناء أسس مجتمعي نابع عن خبرات فردية (بوحنك، صفحة 4)، فهم يرون أن "الإنسان"، أو الناس أنواع تتحكم فيهم طبائعهم وميولهم ومواهبهم، صنف قوي واشتد فيه الجانب العقلي فهو أميل إلى دراسة العلم وبناء المجتمع، ونوع اعتمد على العاطفة والذوق فهو إلى دراسة الفنون الجميلة والموسيقى والتصوير والأدب أنسب، والفئة الثالثة والأخيرة مقدرتهم في أيديهم وهؤلاء للحرف والصناعات أنسب (همال، 2020، صفحة 21) ومنه فالأخلاق هي قوام المجتمع منها ما هو موروث ومنها ما هو مكتسب الموروث منها يتأثر بالكواكب ومالها من سلطان على الجنين قبل الولادة وتتأثر كذلك بالأمزجة والطبائع وأخيراً تتأثر الأخلاق الموروثة بالبيئة الطبيعية المحيطة بالإنسان "المجتمع"، أما الأخلاق المكتسبة فإنها تتعلم وتتميز عن الموروثة بأنها يمكن أن تستبدل أو تتغير. (رحمون، 2016، صفحة 14)

ومن خلال ما تقدم نرى أن إخوان الصفاء قد تتبعوا تطور الإنسان من رحم أمه إلى خروجه ونموه ومروره بمراحل طبيعية ثم مكتسبة ثم يقسم إلى إنسان يخضع للعقل والعلم وإنسان يخضع للعواطف والذوق وإنسان تابع إلى الفطرة والحكمة فهو يتخذ منها حرفاً، وبذلك فقد قدموا الإنسان على شكل نماذج تعمل على تطوير ذاتها ومجتمعها بما يخدمها وينتجها وموقعها في الحياة.

2.1. التعاون والاجتماع في بناء المجتمع عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء

لقد أدرك إخوان الصفاء وتفطنوا، إلى ضرورة الحياة الجماعية والتعاون والتآزر بين أفراد المجتمع الواحد، وأن الإنسان اجتماعي بالطبع يستحيل له العيش منعزلاً عن باقي أفراد مجتمعه، فهو قاصر بطبعه لذا وجب عليه الدخول في علاقات وتفاعل مع الآخرين من أجل منفعته ومنفعة الآخرين وفي هذا الباب نجدهم يقولون "اعلم أخي بأن الإنسان الواحد لا يقدر أن يعيش وحده عيشاً نكداً لأنه محتاج إلى طيب العيش من إحكام صنائع شتى ولا يمكن للإنسان الواحد أن يبلغها، فمن أجل ذلك اجتمع في كل مدينة أناس كثيرون لمعاونة بعضهم

بعضاً..."(معتوق، صفحة 8)، وقد تفتن فيما بعد ابن خلدون إلى أهمية البشري والتعاون بين أفراد المجتمع لضمان استمرارية وبقاء النوع البشري وتأكيداً وتدعيماً لآراء إخوان الصفاء السابقة الذكر فقد ذهب يقول "لابد للإنسان من اجتماع والذي هو المدينة لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبه في صورة لا يصح حياتها ولا بقائها إلا بالغذاء، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة علي تحصيل حاجته من ذلك الغذاء فقوت يوم لا يحصل إلا بعلاج كثير..." وهكذا قد بينت دراسات حديثة في علم الاجتماع مدي أهمية التعاون الإجتماعي ودوره في الحد من المشكلات الإجتماعية فالتعاون أساسه التفاعل وهذا يعني بدوره دخول الأفراد في علاقات مع الآخرين والابتعاد عن العزلة وكذلك فإن المجتمع مهما كان بسيطاً أو معقداً فيستحيل أن يعيش أفراداً دون تعاون.(معتوق، صفحة 9).

3.1 المجتمع في فكر إخوان الصفاء وخلان الوفاء بين الدين والسياسة

إن ملامح القرن العاشر الميلادي غنية بالأحداث المتناقضة، عبادة، وزهد واستئثار، وطغيان نشاط ديني، جهد فلسفي، ضعف مركز الخليفة مع تفعيل الحركة الفكرية التي بعثها إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وذلك بعد أن بطش المتوكل برجالها وقص الأشاعرة من جوانح تعاليمها والتقت في دور أمرائه مجالس الطرب والعريضة بحلقات العلم في مثل هذه الملامح بدأ نشاط هذه الجماعة ذات الطابع الديني السياسي في البصرة، وقد نشأ في البصرة كذلك عدة حركات فكرية دينية هدفها تنوير المجتمع الإسلامي بالأفكار ذات الأبعاد الدينية السياسية(شريف، صفحة 4)، يلخصها إخوان الصفاء في النص الآتي إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلي غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، لأنها حاوية للحكمة الإعتقادية والمصلحة الإجتهدية، فمن خلال النص نلاحظ أن في مظهره ومحتواه أن إخوان الصفاء جماعة دينية إصلاحية ولا علاقة لها بالسياسة، فقد تكونت لنصرة الشريعة الإسلامية، لكن بالطريقة الفلسفية حسب زعمهم(شريف، الصفحات 5-6)، وبخصوص الغرض السياسي في رسائل إخوان الصفاء الذي أشار إلى "دي بور" فهو واضح من خلال أسلوب عملهم السري الذي أشارت إليه المصادر بإعتمادهم علي "التستر وإخفاء الأسماء عندما صنفوا رسائلهم، وأفكارهم السياسية والإجتماعية التي دعوا إلى تطبيقها عندما ظهرت رسائلهم وهو التوقيت الذي شهدت خلاله الدولة العباسية انهياراً وضعف كما سنوضح ذلك(جاسم، 2013، الصفحات 5-6) لكن الملاحظ أن قضية جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء قد ساسها بعض المحسوبين علي الدولة العباسية حتى تسد الضعف السياسي والإجتماعي والإقتصادي، كذلك فالدولة العباسية آنذاك عرفت ضعفاً من ناحية الهيمنة وظهور أعداء مثل الفاطميين والأمويين والحمدانيين والملاحظ كذلك طريقة تعامل جماعة إخوان الصفاء مع المجتمع في التخفي وعدم الوضوح، ورسائلهم المشفرة قد دعمت الجانب السياسي وسمحت لهم الدخول وخوض غمار السياسة داخل الحيز العباسي ضمن رسائل واضحة المضمون مجهولة المعالم.

4.1 علاقة المجتمع باللغة والفكر عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء

حيث يري إخوان الصفاء أن اللغة ذات شقيتين، شق عقلي وشق لفظي وكلاهما يؤثران ويتأثران بالمجتمع، فالأول هو الفكر أو "النطق الفكري"، والآخر هو الكلام "النطق اللفظي"، ويقول إخوان الصفاء موضحين الفرق بين الشقين(خلفاوي، 2020، صفحة 7) أعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه أن المنطق مشتق من نطق ينطق نطقاً، والنطق فعل من أفعال النفس الإنسانية، وهذا الفعل نوعان فكري ولفظي، فالنطق اللفظي هو أمر جسماني محسوس والنطق الفكري أمر روحاني معقول. ولذلك إن النطق اللفظي إنما هو أصوات مسموعة لها هجاء، وهي تظهر من اللسان الذي هو عضو من الجسد وتمر من المسامع إلي الأذان التي هي أعضاء من أجساد أخرى وأن النظر في هذا المنطلق والبحث عنه والكلام علي كيفية تصاريفه وما يدل عليه من المعاني يسمى علم المنطق اللغوي وأما النطق الفكري الذي هو أمر روحاني معقول فهو تصوير النفس معاني الأشياء في ذاتها ورؤيتها لرسوم المحسوسات في جوهرها وتميزها لها في فكرتها...(الفخراي، 1991، الصفحات 20-21) ويظهر من النص أن

الكلام إدراك عقلي يقوم علي النفس الإنسانية أولاً ثم يتحول إلي أصوات محسوسة، وبهذه الطريقة تتحقق عملية التواصل بين المتكلم والمتلقي أي "السامع"، ويتسق من خلالها المجتمع، كما أنهم يربطون بين اللغة والفكر ولا يفرقون بينهما فاللغة في نظرهم هي أداة الفكر والمحرك له فهي التي تبنيه وتوضحه، وفي موضع آخر يوضح إخوان الصفاء نشأة اللغة في قولهم "ولم يزل كذلك وبنو آدم مع والدهم يتكلمون السريانية... ويفهم بعضهم علي بعض المعاني وما قصدوا وأرادوا (خلفاوي، 2020، الصفحات 7-8) ومن خلال ما تقدم وسلف ذكره نري أن إخوان الصفاء قد كانت لهم رؤيتهم الخاصة حول اللغة، والفكر في تطوير المجتمع، حيث يرون أن الفكر ما هو إلا انعكاس للغة كما يرون أن اللغة مستمدة من فكرة مسبقة، وتفيد في التواصل بين الأفراد في المجتمع والمجتمعات من أجل التكلم والإستماع وكل ذلك من أجل المصلحة الفردية والمجتمعية لذلك فهم يولون اهتماما كبيرا للغة والفكر في المجتمع الإسلامي ضمن فلسفة تبادلية بين أفراد المجتمع الواحد.

2. البيئة في فكر إخوان الصفاء وخلان الوفاء

اهتم الإسلام بالبيئة اهتماما كبيرا وكان له السبق في وضع القواعد والتشريعات التي تضمن سلامتها واستقرارها وتحافظ علي مواردها المختلفة وهذا طبعاً ينسجم مع نظرة الإسلام إلي الكون الذي هو من صنع الله وتديره وأثر من آثار قدرته وعظمته، وأوجب علينا المحافظة× عليه وعدم نشر الفساد فيه (الشلش، صفحة 1) وهو القائل "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها" (الأعراف، الآية 85)، كما وجه الإسلام نظر المسلمين إلي العناية بالأرض ونهي عن الإفساد فيها كذلك وأعتبر الإسلام أن المحافظة علي الهواء نظياً خالصاً هو جزء من المحافظة علي الحياة، ولأهمية الحيوان في حياة الإنسان حث الإسلام علي الرفق بها ويتضمن الفقه الإسلامي أحكاماً كثيرة للتعامل مع الحيوان، كذلك ولأهمية النبات في عمارة الأرض وقيام الحياة والحفاظ علي البيئة فقد حثنا الإسلام علي الزراعة والغرس (أحمد، صفحة 2) وقد نشأت ثقافة الحفاظ علي البيئة في الإسلام من خلال تنمية المعارف والقدرات والقيم والإتجاهات لدي جميع أبناء الأمة تجاه البيئة بكل مكوناتها وعناصرها الأساسية من أرض وتربة وسماء وهواء ونبات وغذاء وحيوان وغير ذلك من خلال خلق الوعي والإحساس بالمسؤولية (الشلش، الصفحات 5-6) فهناك فقرة استهل بها ابن خلدون حديثه عن "علم الكلام" يمكن أن تكون خير منطلق كما ذكرها الجابري وهذه الفقرة، أن الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة وعنها يتم كونها ولعل أول ما ينبغي تسجيله هنا هو أن ابن خلدون ينفي بشكل قاطع أي دور للصدفة أو الحظ سواء في عالم الذوات، الطبيعة، أو عالم الأفعال يعني كل ما حدث ويحدث له أسباب وحوادث (الجابري م، 1994، الصفحات 80-81) وهنا يقصد ابن خلدون أن البيئة لا تتشكل وحدها لكن هناك مسببات تجعلها تتشكل، وحتى وإن لم تظهر هذه المسببات فهي موجودة ولكنها مختفية علينا، كما أن إخوان الصفاء كانت لهم نفس الرؤية بالنسبة للبيئة فتجدهم قد قالوا في هذه القضية في رسائلهم "وأعلم أن العادات الجارية بالمداومة فيها تقوي الأخلاق المشكلة لها... وذلك أن كثيراً من الصبيان إذا نشأوا مع الشجعان والفرسان... تربوا معهم وتطبعوا بأخلاقهم... وهكذا أيضاً إذا نشأوا مع النساء والمخنثات... تربوا معهم وتطبعوا بأخلاقهم.... وعلي هذا القياس يجري سائر الأخلاق والسجاي (معتوق، صفحة 8) وهذا ما يؤكد تتطابق كلامهم مع كلام ابن خلدون وأضاف إلي ذلك قول ابن خلدون الإنسان ابن بيئته، وأن للبيئة دخل في العديد من سلوكيات وتصرفات التي يسلكها الفرد مستقبلاً (معتوق، صفحة 9) كما النفاذ ونظيرته الثاقبة أن يحول العمران الإنساني إلى علم واضح المعالم سواء من حيث الموضوع أو المنهج، فوضع له أسساً واستوفى له مسائل مميزة واستطاع أن يربط البيئة بالإنسان والإنسان بالبيئة فيقول "التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشيرة واقتضاء الحاجيات كما في طباعهم من التعاون علي المعاش (بوجلال، صفحة 3) هكذا وقد كان كلام ابن خلدون مطابقاً لكلام إخوان الصفاء وخلان الوفاء فيما يخص البيئة والمجتمع.

1.2 الجغرافيا البيئة والتقسيم الإقليمي عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء

1.1.2 الحيز الجغرافي للأرض عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء

تعد المؤلفات الجغرافية من مصادر التأريخ الإسلامي المكتوبة، ذلك أن التاريخ والجغرافيا كانا في نظرة العرب فرعين متلازمين من شجرة المعارف العامة التي كانوا يطلقون عليها اسم الأدب بوجه عام وكانت المؤلفات في البداية قاصرة على الجزيرة العربية والبادية فقط (غيبور، 2006، صفحة 8) ولكن إخوان الصفاء قد درسوا وألفوا "للفلك والجغرافيا" وقد عنوا بذلك الصورة البيئية للأرض وما عليها من الجبال والأقاليم والمدن وال عمران والخراب والبيان بأنها كروية الشكل بجميع ما عليها، وكيفية مكانها ومستقرها وفيها أقاويل مختلفة ومنها هذا القول لإخوان الصفاء "أنها واقفة في الموضع اللائق بها، المجعل لكونها بتقدير العزيز الحكيم، كتقدير الأفلاك العالية والسماوات السامية وكل فلك في موضعه الخاص به اللائق به أن يكون فيه وكذلك مواضع الكواكب..." وأن الأرض حية متحركة بما عليها تشبه بحملتها صورة حيوان واحد تام الخليقة، عجيب البنية عابدة لله تعالى بجميع أعضائها وأجزائها وظاهرها وباطنها، وكيفية تخطيطها وتقديرها ومسالكتها، ومماليكها وكان قصدها الذي قصدنا إليه والغرض الذي أشرنا إليه ونهنا عليه هو التنبيه والتوقف على علة ورود النفس إلى هذا العالم وكيفية إتحاد النفوس الجزئية بالأجساد البشرية وكونها تحت الأشخاص الطبيعية... مع عالم النشوء تحت فلك القمر وعالم الكون والفساد (الجريطي، 1949، الصفحات 109-111) كما يقولون أيضا في رسائلهم حول البيئة والأقاليم والأرض "فأما الجهات فهي الشرق والغرب والجنوب والشمال والفوق والأسفل... والأرض جسم مدور مثل الكرة وهي واقفة في الهواء وأن الله يجمع جبالها وبحارها وبراريها وعمارتها وخرابها... لأن الأرض بجميع البحار التي علي ظهرها كرة واحدة وليس شيء ظاهر سطح الأرض من جميع جهاتها هو أسفل الأرض كما يتوهم كثير من الناس، مما ليس له رياضة بالنظر، في علم الهندسة والبيئة وذلك بأنهم يتوهمون ويظنون أن سطح الأرض في الجانب المقابل لموضعنا أسفل الأرض وأن الهواء المحيط بنا هو كذلك بأسفل الأرض (الزركلي، صفحة 90) وأما الحث على النظر في الأرض فيقول إخوان الصفاء "اعلم أخي بأن من دخل الدنيا وعاش فيها زمانا طويلا مشغولا بالأكل والشرب والنكاح، دأبا في طلب الشهوات والحرص على جمع المال والأثاث واتخاذ البنيان وعمارة الأرض والعقارات وطلب الرياسة متمنيا الخلود فيها تاركا لطلب العلم (الزركلي، صفحة 92)... وبذلك نرى أن إخوان الصفاء قد وضعوا الأرض ضمن حيز محدد محوري في فكرهم ويرون أن الأرض كروية الشكل واقفة في الهواء وأما الجهات فهي الشمال والشرق والغرب والجنوب، والبحر كذلك يخضع لحيز الأرض وهو تابعة لها، إن الأرض بمفهوم إخوان الصفاء هي الحيز الجغرافي الشكلي والهندسي بكل معايير الفلكية والرياضية تخضع لعمارة الإنسان أو تخريبه فالإنسان هو ابن بيئته كما أشار ابن خلدون لذلك إما أن تزدهر الأرض به أو تخرب به، فهو صاحب الحل والعقد، وصاحب الازدهار والنمو فيها، فهو من ينميها ويطوها لتصبح كأننا حيا ينمو ويتطور.

2.1.2 التقسيم الجغرافي للأرض عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء

يرى إخوان الصفاء وخلان الوفاء أن الأقاليم هي سبعة، كل إقليم منها كأنه بساط مفروش قد مد طوله من المشرق إلى المغرب وعرضه من الجنوب إلى الشمال وهي مختلفة الطول والعرض. ويرون أن أقصر إقليم هو الإقليم السابع "اعلم أخي أيديك الله وإيانا بروحه أن هذه الأقاليم الستة ليست هي أقسام طبيعية بل وكأنها خطوط وهمية وضعها الملوك الأولون الذين طافوا الربع المسكون من الأرض لتعليم الحدود والممالك والمسالك مثل أفريزون، وتبع الحميري، وسليمان بن داود الإسرائيلي عليهما السلام والاسكندر اليوناني وأزدشير بن بابكال فارسي ليعلموا بها حدود البلدان والممالك (الزركلي، صفحة 58). أما ثلاثة أرباعها الباقية فمنعهم من سلوكها الجبال الشامخة والمسالك الوعرة والبحار الزاخرة... وأعلم أن الأرض بجميع من عليها من الجبال والبحار بالنسبة إلى سعة الأفلاك ماهي إلا كالنقطة في الدائرة... (الزركلي، الصفحات 58-59) واعلم يا أخي أن في كل إقليم من هذه الأقاليم السبعة ألوف من المدن تزيد وتنقص، في كل مدينة أمم من الناس مختلفة ألسنتهم وألوانهم

وطبائعهم وآدابهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم وعاداتهم ولا يشبهون بعضهم البعض وهكذا حكم حيوانها ومعدنها مختلفة الشكل والطعم واللون والرائحة وسبب ذلك الاختلاف أهوية البلاد وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها وهذا الاختلاف بحسب طوابع البروج ومطابخ شعاعاتها (الزركلي، الصفحات 63-64). ومن خلال ما تقدم طرحه يتضح لنا أن إخوان الصفاء قد قسموا الأرض المسكونة إلى أقاليم سبعة، كانت تابعة إلى ملوك قبلهم وربما رأي إخوان الصفاء أن الجزء المتبقي من الأرض والذي لم يتم تقسيمه بعد لعلا تضاريسه وعرة وأرضه غير خصبة لذلك شق علي الملوك والسلطين ذلك، ويرى إخوان الصفاء أن الأرض بكل من عليها وفيها تعد جزء لا يتجزأ من الأفلاك المحيطة بها وهنا نوع من تصغير الأرض عند إخوان الصفاء، كما يرون أن كل إقليم له مجموعة من الخصائص تتطور من خلاله الكائنات من هواء وماء ومطعم ومشرب وملح، وكلها هي عوامل مؤثرة علي البيئة الإنسانية والحيوانية وذات طابع طردي من خلال تأقلم الإنسان مع هذه العوامل حتى يستطيع أن يبني بيئته المرغوبة لعيش كريم ومطمئن.

2.2 إيكولوجيا تكوّن البيئة بين "الإنسان والحيوان والنبات" عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء:

يرى إخوان الصفاء في رسالتهم التالية حول تكون البيئة وأسبقيّة الخلق بالنسبة للنبات والحيوان خدمة للإنسان، "إعلم أخي أيدك الله بروح منه، أن النبات متقدم في الوجود علي الحيوان ولم يكن ذلك لفضيلة نالها بالسبق وإنما كان ذلك لأنه كالوالدة وذلك أنه يمتص رطوبات الماء ولطائف أجزاء الأرض بعزوفه إلى أصوله، ثم يحيلها إلى ذاته، ويجعل ما فضل من تلك المواد ورقا وثمرًا وحبا نضيجا يتناول منه الحيوان غذاء صافيا هنيئا مريئا كما تفعل الوالدة لولدها فإنها تأكل الطعام نيئا وينال ابنها لبنا خالصا سائغا للشاربين (الجريطي، 1949، صفحة 188) وقد قال الحكماء أن النبات واسطة بين الحيوان والأركان يتناول بعزوفه... ويتناول الحيوان من لطائف لبابه وحبه وثمره مما يكون سببا لبقاء صورته وتمام خلقتة ويستعين بذلك علي البلوغ... فافهم أخي هذا الفصل فإنه من غامض العلم وسر الحكمة، فالحيوان متقدم الوجود علي الإنسان بالزمان لأنه له ومن أجله ولهذه الحكمة في أوليات العقل قضية عادلة وبرهان صادق لا يحتاج إلى جليل من المقدمات ونتائجها لأنه لو لم يتقدم وجود الحيوان علي الإنسان لما كان للإنسان عيش ولا مروءة كاملة ولا نعمة سابغة بل كان سيعيش عيشا نكدًا... فالإنسان متقدم بالقوة والحيوان متقدم بالفعل ولذلك قيل من كان أولا بالقوة كان آخرًا بالفعل (الجريطي، 1949، صفحة 189) ومنه خلال ما تم ذكره في الرسائل نري أن الأسبقية في الخلق وتكوين البيئة كانت للنبات الذي يمثل الوالدة بالنسبة للحيوان حيث أن النبات يمتص الرطب من الأرض ويحوّله إلى ثمر وحب وورق، يستطيع من خلاله الحيوان أن يعيش ويكمل حياته في بيئته دون أية مشاكل ولا حواجز، بنفس الوتيرة يري إخوان الصفاء أن الأسبقية بعدها كانت للحيوان في الخلق وتكوين البيئة، فالحيوان حسب كلام إخوان الصفاء خلق لكي يلي حاجيات الإنسان في النمو والتطور وبناء المجتمعات والتجمعات، حيث أن الإنسان سبق الحيوان في القوة والحيوان سبقه في الفعل وهذه هي الحكمة والمعادلة الايكولوجية في تكوين البيئة بين الإنسان والحيوان والبيئة، تتكون من دورة ثلاثية لو اختل الميزان فيها لما تكونت البيئة ولحدث ما يعرف العجز البيئي، أو ما يعرف بالتأزم البيئي فالتراتبية في الخلق والتكون كانت عبارة عن سلسلة عند إخوان الصفاء وهو ما تم دعمه في علم البيولوجيا ونظرية التطور أيضا.

3.2 البيئة والأقاليم والاختلاف البشري عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء

لقد ذكر علماء الاجتماع، ومنهم ابن خلدون، تكون الأقاليم بالبشر والخلقة والحيوان والبيئة، واختلاف مشربهم ومأكلهم وألوانهم. وهذا ما ذكرناه على إخوان الصفاء سابقا، وما سوف نذكره في جزء من هذه الرسالة التي يقدمون فيها تقسيم الأقاليم والمدن وحدودها الجغرافية وحتى ألوان وصورة البشر من الجنس والعرق فيها. فهم يرون في الرسالة ما يلي:

1.3.2 المنظور الإيكولوجي:

يعتقد إخوان الصفا أن صورة الإنسان متوسطة بين حالتين، نازلة بين منزلتين، فالإنسان لذلك بسيط بروحه الروحانية الحية، مركب بجسمه، فهو بين البسيط والمركب، قابل للحياة بروحه قابل للموت بجسمه فطبيعة جسمه أصفي الطبائع الأرضية... وكذلك مادته وغذائه الملائم لطبيعته (الجريطي، 1949، صفحة 279) إن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم، فهو بين البسيط والمركب، قابل للحياة في الطبيعة والبيئة التي تناسبه، فهو خليفة الله في أرضه. كما يرى إخوان الصفا أن الغاية التي خُلق وتمايز من أجلها الإنسان سامية ليكون متوجهاً إلى ربه تعالى، مستعداً لمقابلته بعمله، على أن الديانات والشرائع ووظائف العبادات إنما جعلها الله طرقات ومسالك يسلكها العبد إلى رحمة خالقه. ونجدهم في موضع آخر يضعون مجموعة الصفات للإنسان لا تعرف حدوداً للدين أو الجنس أو العرق أو القومية أو النسب. (مختاري، 2009، صفحة 102)

2.3.2 المنظور الجيوبوليتيكي

يرى إخوان الصفاء أن الإقليم الأول لزحل يبدأ من المشرق على شمال جزيرة الياقوت، فيمر على بلاد الصين مما يلي الجنوب، ثم يمر على وسط بلاد الهند، ثم بلاد السند ثم مروا ببلاد اليمن وعامة أهل هذه البلدان سود. الإقليم الثاني للمشتري وامتداده من المشرق إلى المغرب، يمر على وسط بلاد الصين ثم يمر على شمال بلاد سرينديب ثم مروا ببلاد الهند مما يلي الشمال ثم يمر على بلاد قندهار ووسط كابل وشمال بلاد السند وجنوب بلاد مكران، ثم يقطع بحر فارس وعمان، ثم يمر وسط بلاد المغرب، ثم يقطع بحر القلزم مروا بشمال الحبشة وجنوب بلاد صعيد مصر فيقطع نيل مصر، ويمر وسط إفريقية ثم يقطع شمال بلاد البربر وجنوب بلاد القيروان وينتهي إلى بحر المغرب وأكثر أهل هذه البلدان ألوانهم بين السمرة والسواد (الزركلي خ، الصفحات 151-152). أما الإقليم الثالث فهو للمريخ يبدأ هذا الإقليم من المشرق فيمر على شمال بلاد الصين وجنوب بلاد ياجوج وماجوج ثم على شمال بلاد الهند وجنوب بلاد الترك، ثم يمر وسط بلاد كابل ثم على بلاد قندهار ثم على بلاد مكران ثم جنوب سجستان مروا ببلاد فارس مما يلي البحر، ثم يمر على بلاد العراق مما يلي الجنوب، ثم يمر على جنوب بلاد ديار بكر وشمال بلاد العرب، ثم مروا بوسط الشام، ثم مصر وبلاد الإسكندرية، ثم يمر وسط بلاد القادسية، ثم بلاد طنجة ووسط بلاد القيروان، وينتهي كذلك إلى بحر المغرب (الزركلي خ،، صفحة 153) الإقليم الرابع للشمس، ويبدأ هذا الإقليم من المشرق فيمر على شمال بلاد الصين وجنوب بلاد ياجوج وماجوج، ثم يمر على الترك، ثم على نوب وشمال بلاد الهند وطخارستان، ثم يمر شمال بلاد بلخ باسيان ثم شمال بلاد مكران، ثم بلاد الكرمان وبلاد فارس، ثم يمر وسط بلاد العراق وشمال بلاد الشام ويمر وسط بر الروم وجزيرة قبرص، ثم جزيرة صقلية وشمال بلاد مرمريقي وبلاد القادسية والقيروان وبلاد طنجة وينتهي كذلك إلى بلاد المغرب وأكثر أهل هذه البلدان ألوانهم بين السمرة والبياض وهذا الإقليم هو إقليم الأنبياء والحكماء لأنه وسط الأقاليم الثلاثة وأهله اعدل الناس طبعاً وأخلاقاً، ثم بعده الإقليمان اللذان على جنبه أعني الثالث والخامس فأما الأقاليم الباقية فأهلها ناقصون عن طبيعة الأفضل؛ لأن صورهم سمحة وأخلاقهم وحشية مثل الزنج والحبشة. أما الإقليم الخامس للزهرة فمر على وسط بلاد ياجوج وماجوج ووسط بلاد الترك وعلى وسط بلاد ما وراء النهر وكذلك وسط بلاد خراسان وعلى شمال بلاد فارس ووسط بلاد الري وينتهي إلى بحر المغرب وأكثر أهل هذه البلدان البيض، والإقليم السادس لعطارد، فهو يمر على شمال بلاد أسبيجان وعلى شمال بلاد السند وما وراء النهر وعلى وسط بلاد خوارزم وعلى شمال بلاد جرجان وكيلان ويقطع بحر طبرستان وعلى وسط بلاد أذربيجان ومقدونية ووسط إفريقية، مما يلي الشمال ويمر على جنوب بحر الصقالبة وعلى شمال هيكل الزهرة وينتهي كذلك إلى بحر المغرب وأكثر أهل هذه البلدان مابين الشقرة والبياض. أما الإقليم السابع والأخير يمر على جنوب بلاد ياجوج وماجوج وبلاد غرغر، وعلى بلاد كيمال، وعلى جنوب اللان، وعلى جنوب بحر

جرجان وشمال بلاد مقدونية، وينتهي إلى بحر المغرب، وأكثر أهله ألوأنهم مائلة إلى الشقرة (الزركلي خ، الصفحات 156-157).

من خلال ما تقدم نرى أن التقسيم الجيوبوليتيكي عند إخوان الصفاء كان من حيث الموقع الإستراتيجي والمنظور الفلكي، فهم يربطون الإقليم بالفلك والكواكب وذلك للإشارة إلى الأهمية الجيولوجية والأهمية الجينالوجية. فتقسيمهم يخضع لعامل البيئة والإنسان، فهم يرون أن من بين الأقاليم السبعة هناك إقليم وسط يتوسطهم وهو إقليم الأنبياء والحكماء وأهله أهل عدل وخلق وهو الإقليم الرابع، فتقسيم إخوان الصفاء يظهر أنه تقسيم علمي نوعا ما علي خلاف تقسيم راتزل ونظرية قلب العالم ورؤية ماهان وسبيكمان، التي كانت تخضع لمعيار الواقعية والهيمنة السياسية، فالتقسيم الجغرافي عند الإخوان يخضع لعامل البيئة والجنس والمشرّب والمطعم كما أسلفنا الذكر أكثر من العامل السياسي والاستراتيجي عند المنظرين الجيوبوليتيكيين الغرب فهنا يظهر الطابع العلمي النقدي لمفهوم الجغرافيا السياسية في الفكر الإسلامي وتجلياته علي الجيوبوليتيك الحديث.

ثالثا: علاقة المجتمع والبيئة في بناء الدولة في فكر إخوان الصفاء وخلان الوفاء

يقرن ابن خلدون التاريخ إلا مقترنا بصفة الحقيقة، تأكيداً منه علي أنه علم، لا يتحقق إلا بقيامه علي أسس موضوعية، فيتوافر علي شرط الإخبار الصادق عن موضوعه وتكون أخباره قابلة للتحقيق من صحتها بكافة البراهين العقلية والتجريبية، لذلك فإن حقيقة التاريخ عنده هي أنه خبر عن الإجتماع الإنساني، الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس والعصبية وأصناف التغلبات للبشر بعضهم علي بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول والمراتب وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع (حمداوي، صفحة 2) ونفس الشيء بالنسبة لإخوان الصفاء في دراستهم لطبيعة الإنسان في تكوين الدولة والجنوح نحو العمران وبناء الحياة الأسرية والإجتماعية داخل حيز الدولة.

1. الطبيعة الإنسانية والمجتمعية في تكوين الدولة عند إخوان الصفاء

من خلال ما قد سبق يعتبر إخوان الصفاء الإنسان أحد الموجودات للعالم الطبيعي، ويظهر هذا من خلال تعريفهم له "حيوان ناطق مائت" ومن خلال هذا التعريف نبدأ بملاحظة المؤثرات علي فكر إخوان الصفاء، فإذا كان أرسطو قد عرف الإنسان علي أنه "حيوان ناطق"، ولم يأتي علي ذكر مائت مما يتضح لنا جليا أن إخوان الصفاء تعرفوا علي الفلسفة اليونانية، إما بطريق مباشر أو من خلال شرائح وهذا ما نراه في أكثر من موضع (مختاري، 2009، الصفحات 83-84) وأكد إخوان الصفاء علي أهمية التربية والتنشئة باعتبارهما عاملين اجتماعيين في تكوين الدولة يتمن ضمن نطاق المجتمع فقد أعطوا للبيئة الإجتماعية دورا حاسما في تكوين الطفل ونشأته؛ لأن العادات الجارية في البيئة والمداومة عليها تقوي الأخلاق والسجايا عنده مما يزرع فيه حب كيانه وبيئته، فهم يؤمنون كما تطرقنا سابقا إلى أن الأطفال والصبيان إذا نشأوا مع الشجعان والفرسان وأصحاب السلاح تطبعوا بأخلاقهم وكثر فيه حب الكرامة والأنفة، وذلك ما يخدم تكوين الدولة في فكرهم وهو نفس الأمر الذي ذهب له ابن خلدون في نظرية الدولة. (جاسم، 2013، صفحة 15).

2. تكوين الدولة عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء

إن "النظرية الدورية" والتي كثيرا ما تنسب إلى ابن خلدون وغيره من العلماء المعاصرين الغربيين كأرنولد توينبي، إلا أن الحقيقة تبدو عكس ذلك، حيث إذا عدنا إلى رسائل إخوان الصفاء نجدهم قد كانوا السباقين في تناول هذه المسألة، وفي هذا الصدد نجدهم يقولون: "إعلم أخي بأن أمور هذه الدنيا تدور بين أهلها قرنا بعد قرن وأمة بعد أمة ومن بلد إلى بلد ... وإعلم يا أخي أن كل دولة لها وقت منه تبتدئ وغاية إليها ترتقي وغد إليه تنتهي، فإذا بلغت أقصى غايتها ومدى نهايتها تسارع إليها الإنحطاط والنقصان... ونفهم من قولهم أن الدولة عندها عمر

مثلها مثل الكائن الحي، وكذلك سبقوا ابن خلدون في نظرية النشأة والمراحل التي تمر بها من نشأتها إلى سقوطها وانهيارها، فالدولة عند إخوان الصفاء تحمل في قيامها بذور انهيارها وذلك عند الوصول إلى مرحلة الشيخوخة، كما تكلم عنها ابن خلدون. (معتوق، صفحة 7)

لم يتوقف إخوان الصفاء هنا فقط في التعريف والتمهيد للدولة، بل ذهبوا إلى دراسة توزيع المجتمع ووضع تفاسير وأطر للعلاقات الاجتماعية وعوامل نشوئها، وقد أكدوا أيضا على ضرورة وجود دولة أو سلطة تقيم العدل بين الناس وترفع الظلم والشر عنهم، انطلاقا من مبدأ أن الناس لا يستقرون ولا يطمئنون في أمورهم المعيشية والاجتماعية إلا بوجود سلطة أو حاكم يحكم فيما يختلفون فيه، ويمنع الظالم القوي من التعدي على الضعيف المظلوم، كما أن الدولة عند إخوان الصفاء، جهاز خاص لقصر الناس وضبط أفعالهم وسلوكهم وتأدية فرائضهم وهم يرون أن "الدولة تظهر عندما يظهر انقسام المجتمع إلى طبقات، بسبب الحاجة إليها لكبت النزاع بين الفئات ومراتب المجتمع وحصر ذلك كله عبر إطار الناموس" (جاسم، 2013، الصفحات 13-14). والملاحظ في ما تقدم ذكره أن إخوان الصفاء كانت لهم رؤية نقدية حول مفهوم وآليات بناء دولة، فهم ذهبوا كما أسلفنا الذكر إلى حاجة الإنسان إلى حيز يعيش بداخله، تتوفر فيه تقنيات الإرادة والتسيير حتى لا يتغلب القوي على الضعيف، كما يجب أن تحوز الدولة بآلياتها على السلطان الذي يختلف الناس فيه ولكنهم يتنازعون إليه وهو المخول له ذلك، وكذلك وضع إخوان الصفاء آليات القصر التي تحتاجها الدولة في المنفعة والإكراه كما تكلم عليها وأشار لها علماء السياسة الحاليين، ورأوا أن الدولة هي الجامع للانقسامات الطبقية داخل المجتمع وهي الفكرة المروجة من طرف المنظور الماركسي، كما نعيد الذكر أنهم تطرقوا لعمر الدولة، لنموها ووصفها بالكائن الحي، مع ازدهارها وقصورها ثم انهيارها، وهو ما نظر له ابن خلدون في مقدمته. والملاحظ أنهم كانوا هم السابقين لها قبله، فهم كانوا يرون الدولة على أنها شيء لا بد منه، وكيان زرع بذور فنائه مع جذور نشأته، لقد أرخوا للمعيار الزمني للدولة بمفهومها الحديث.

خاتمة

خلصنا في هذه الدراسة إلى أن أفكار إخوان الصفا وخلان الوفاء كانت عبارة عن تجارب تم استخلاصها من الفكر اليوناني، فرؤيتهم للمجتمع كانت ذات بعد عقلي وفلسفي أكثر منه طبعا وتطبعيا، تجلّى ذلك من خلال محاولتهم تربية المجتمع وأخلاقه داخل بيئة علمية تخضع للحس والتجربة، وذلك واضح في رسائلهم المستمدة من عالم العقل والفلسفة التجريبية، فمهما اختلفنا معهم في الجانب الديني أو مشكلة فهم الدين، إلا أنهم وضحو أمورا لم يتطرق لها أحد قبلهم في الفكر الإسلامي. كما أن إخوان الصفاء قدموا للفلسفة والأخلاق الشيء الكثير، فرؤيتهم للمجتمع تنم على أواصر خلوتهم ومدي تهميشهم، لذا ألفوا في الفلسفة من أجل التعريف بالمجتمع ومشاكله وتقديم الحلول له.

كما تكلموا في البيئة ووضعوا لها مواصفاتها من حيوان ونبات وأقاليم وبشر، ووضعوا التراتبية بين الإنسان والحيوان والنبات، ورأوا أن الحيوان أسبق من الإنسان، والنبات أسبق من الحيوان. وذلك لأجل إظهار السلسلة التراتبية لتوازي وتوازن المخلوقات في بيئتها المخلوقة لها، كما بينوا لغة البشر وأطعمتهم وشهواتهم وحتى لون بشرتهم، وكل ذلك لإيجاد النسق البيئي المجتمعي الذي يعيش الإنسان في كنفه، ويحس بالراحة والإطمئنان. كما أنهم نسقوا بين شهوات الدنيا وملذاتها، وعذاب الآخرة وسعيرها، وهنا من أجل محاربة الفساد المجتمعي، وإبراز معالم المجتمع المثالي الذي شعاره السلام والإسلام والفضيلة.

وكذلك قسموا العالم المسكون حسب زعمهم إلى مناطق وحدود وحواجز لتبيان الفرق بين الأقاليم واختلاف الجنس البشري فيها، وإدراك مناطق الحياة والرفاهية، وهذا ما بحث فيه منظرو العالم الحديث والمعاصر، مثل ماهان وسبيكمان وماكندر في نظرتهم للجغرافيا، ولكن اختلافهم مع إخوان الصفاء وخلان الوفاء

يتمثل في البعد السياسي والإستراتيجي لهذه المناطق والأقاليم. كما أنهم بينوا أن الدين يتبع الملك والدولة، والملك هو الأخ الأصغر للدين، وهذا ما ذهب إليه بعض المفكرين المعاصرين، مثل صامويل هانتنغتون الذي رأى أن معيار قياس القوة بين الدول بعد الحرب الباردة هو الدين وليس القوة العسكرية كما كان سابقا. كما تطرقوا إلى النظرة الإجتماعية بين الحاكم والمحكوم، والتي عرفت حديثا بالعقد الاجتماعي. وذهبوا إلى أن طبائع الإنسان تكون حسب بيئته التي تربى وترعرع فيها. ومن خلال ما تم بحثه في هذه الدراسة، توصلنا إلى أن إخوان الصفا كانت لهم رؤية نقدية حول المجتمع والبيئة، تضمنتها الأطر العلمية والفلسفية التي بنوها على الحس والتجربة.

قائمة المراجع:

1. أبو السعود أحمد الفخراي. (1991). البحث اللغوي عند اخوان الصفا (الإصدار 01). مصر: مطبعة الأمانة.
2. آدم رحمون. (أكتوبر، 2016). الاسهامات السوسيولوجية عند الفرابي وأبر حامد الغزالي واخوان الصفا وابن مسكوبة والبيروني وابن خلدون. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية (18).
3. ألاء ياسين دباب. (مارس، 2019). رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء إشكالية التأليف. مجلة مدارات تاريخية، 01.
4. ألبير نصري نادر. (بلا تاريخ). فلسفة المعتزلة "فلاسفة الإسلام الأسبقين" (الإصدار الأول). الاسكندرية، مصر: مطبعة دار نشر الثقافة.
5. الحكيم الجريطي. (1949). الرسالة الجامعية (الإصدار 01). دمشق: مطبوعات الجامع العربي (مطبعة الشرق).
6. الزركلي. (بلا تاريخ).
7. الزهراء بوحنك. (بلا تاريخ). فلسفة الأخلاق عند اخوان الصفا وخلان الوفاء.
8. العيد مختاري. (2009). الانسان من خلال كتابات اخوان الصفاء. رسالة ماجستير في الفلسفة. الجزائر: كلية العلوم الانسانية جامعة الجزائر.
9. انتوني دي سميث. (2012). الأسس الثقافية للأمم "الهرمة والعهد والجمهورية". المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي سي أي سي .
10. جمال معنوق. (بلا تاريخ). اسهامات اخوان الصفا في حقل الانثربولوجيا الطبيعية.
11. خالد علي عباس القط. (1441). مظاهر الإلحاد في فكر اخوان الصفا وخلان الوفاء. مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، 7(22).
12. خير الدين الزركلي. (بلا تاريخ). تأليف اخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء (الإصدار 01). مؤسسة هنداي سي أي سي.
13. زكي الميلاد. (2010). المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة "الواقع والآمال" (الإصدار 02). بيروت، لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
14. سعيد شريفي. (بلا تاريخ). الجانب التربوي في فلسفة اخوان الصفا .
15. سهام الدبابي الميساوي. (بلا تاريخ). إسلام واحد ومتعدد إسلام الساسة (الإصدار 01). بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
16. سورة الأعرف. (الآية 85).
17. صابرينة خلفاوي. (سبتمبر، 2020). الكلام واللغة والكتابة عند اخوان الصفاء وخلان الوفاء. مجلة العلوم الإنسانية، 09(02).
18. عبد الجليل الطاهر. (2016). أصنام المجتمع بحث في التحيز والتعصب والنفاق الاجتماعي (الإصدار 01). بيروت، لبنان: المركز الاكاديمي للأبحاث.
19. عبد الرحمن البزاز. (1964). القومية العربية، تحريرها وتعريفها. القاهرة: منشورات الطليعة .
20. عبد الستار نصيف جاسم. (كانون، 2013). المجتمع والدولة والتربية عند اخوان الصفا وخلان الوفاء. مجلة كلية التربية الأساسية (14).
21. عبد السلام همال. (مارس، 2020). مواقف اخوان الصفا وخلان الوفاء من الجرف والصنائع. مجلة البحوث التاريخية، 04(01).
22. فادية غيبور. (كانون الأول، 2006). التراث العربي. إتحاد الكتاب العرب، 26.

23. محمد عابد الجابري. (1994). فكر ابن خلدون- العصبية والدولة (الإصدار 6). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
24. محمد حمداوي. (بلا تاريخ). الأخبار التاريخية ومبتدأتها الاجتماعية في نظرية العمران الخلدونية. مجلة دراسات إجتماعية (11).
25. محمد سبيلا. (2014). المسألة الدينية بين الفكر التقليدي والفكر الحديث "قراءة في اعمال داريوش وشايفان". 01. سلسلة ندوات الدين والثقافة بالمركز الثقافي العربي.
26. محمد عابد الجابري. (2000). المثقفون في الحضارة العربية "محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد" (الإصدار 02). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
27. محمد محمد الشلش. (بلا تاريخ). رؤية الشريعة الإسلامية ومنهجها في الحفاظ على البيئة، دراسة الواقع الفلسطيني.
28. محمود إسماعيل. (2000). نهاية أسطورة "نظريات ابن خلدون" (الإصدار 01). القاهرة، مصر : دار قاء للطباعة والنشر والتوزيع.
29. نادية بوجلال. (بلا تاريخ). القيمة الجمالية والعمران عند ابن خلدون. (49).
30. هاني فحص. (2014). الدين والثقافة "الواقع والآمال". 01. الدار البيضاء، المغرب: مؤسسة مؤمنون بلا حدود المركز الثقافي العربي.
31. هناء فهي أحمد. (بلا تاريخ). حماية الشريعة الإسلامية للبيئة الطبيعية، دراسة مقارنة فقهية (الإصدار الجزء الأول).
32. هومن ناظميان. (2012). تحليل خطاب إخوان الصفا في قصيدة تداعي الحيوان على الانسان. المجلة الجمعية الإيرانية للغرة العربية وآدابها (22).